

## أعداء دمويون: حربنا ضد الجراثيم القاتلة

ويضيفان: «في أي جائحة، تعد القيادة الفعالة أمراً بالغ الأهمية، والمسؤولية الأولى لرئيس أي دولة هي تقديم معلومات دقيقة ومحدثة من خبراء الصحة العامة، وليس العناصر السياسية القائمة على أجندة معينة. من الأفضل أن نقول إننا لا نعرف شيئاً، ولكننا نعمل على اكتشاف ذلك، بدلاً من تقديم حديث سعيد قد يتعارض مع دورة الأخبار التالية. إذا ضحى الرئيس بمصداقيته، فلن يعرف الجمهور إلى أين يتجه. ومع ذلك، فقد أظهرت الدراسات مراراً وتكراراً أنه إذا تم تزويد الجمهور بمعلومات صادقة وصريحة، فلن يحدث الذعر على الإطلاق تقريباً، وتعلم جميعاً التكتات معاً». ذكر مركز أبحاث وسياسات الأمراض المعدية في جامعة مينيسوتا، في 20 يناير 2020، أن فيروس «كوفيد-19» سوف يسبب جائحة، بناءً على خصائص انتقال الفيروس الواضحة. يتساءل المؤلفان في الكتاب: «لماذا استغرقت منظمة الصحة العالمية حتى مارس الماضي لإعلانه وباء عالمياً؟ نتفقد أن هذا قاد العديد من القادة والمنظمات إلى الشعور بالرضا عن الذات في أنه لا تزال هناك فرصة جيدة لاحتواء الفيروس، وأصبح تشتتاً غير ضروري عن عملية التخطيط الحيوية لكيفية التخفيف منه والعيش معه. هذا النوع من الارتباك والنقاش يجب أن يجعلنا ندرك أننا بحاجة إلى طريقة أكثر فاعلية للتقييم عندما يكون العالم في خطر من عدو قاتل جديد. أول سؤال مهم يجب أن نواجهه هو: كيف دخلنا في هذه الأزمة؟ تشير اقتصاديات الرعاية الصحية الحديثة إلى أن معظم المستشفيات لديها مخزون محدود للغاية من معدات الوقاية الشخصية، بما في ذلك أجهزة التنفس والكامات من نوعية «إن-95». يتساءل الكاتبان: «كيف سنستجيب للأوبئة إذا لم نتمكن من حماية موظفي الرعاية الصحية الذين نعتمد عليهم في علاج جميع المرضى، الذين سيتغلبون بسهولة على مؤسسات الرعاية الصحية المثقلة لدينا؟ بالمعنى الحقيقي، ما يحدث للعاملين في مجال الرعاية الصحية لدينا سيكون المقياس التاريخي لكيفية استجابتنا للأزمات الراهنة والمستقبلية. عموماً، إذا لم نفعل كل ما في وسعنا لحمايتهم، فسينتقلون بسرعة من مقدمي الخدمات إلى مرضى، مما يزيد من الضغط على المرافق المثقلة سابقاً.. إذا كنا جادين في منع هذا النوع من التهديد في المستقبل، يجب على الحكومات أن تلتزم دولياً بنشر وتوزيع إنتاج الأدوية والمستلزمات

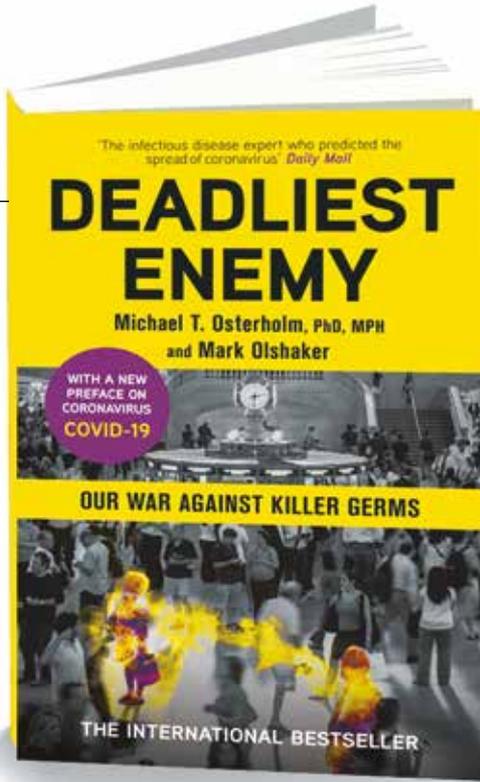
في عالم اليوم، أصبح نقل الناس والحيوانات والمواد حول العالم أسهل من أي وقت مضى، ولكن التطورات التي تجعل البنية التحتية الحديثة فعالة للغاية، فرضت أيضاً الأوبئة التي تعدّ رعباً لا مفرّ منه تقريباً. وكما أوضحت حالات تفشي «كوفيد-19»، و«إيبولا»، و«ميرس»، و«زيكا»، فإننا لسنا مستعدين للتعامل مع تبعاتها. فماذا يمكننا - ويجب علينا - أن نفعل من أجل حماية أنفسنا من أعداء البشرية الأكثر دموية؟

يعتمد مؤلفا الكتاب مايكل أوسترهولم ومارك أولشاك على أحدث العلوم الطبية، والبحوث، والدراسات، والدروس الوبائية المكتسبة، ويستكشفان الموارد والبرامج التي نحتاج إلى تطويرها، إذا أردنا الحفاظ على سلامتنا من الأمراض المعدية. يظهر المؤلفان كيف يمكننا أن نستيقظ على واقع لم يعد فيه العديد من المضادات الحيوية يشفي، ويصبح الإرهاب البيولوجي أمراً مؤكداً، ويزداد خطر انتشار الإنفلونزا الكارثية أو جائحة الفيروس التاجي بشكل أكبر.

يقول المؤلفان: «محاولة إيقاف انتقال إنفلونزا مثل «كوفيد-19» أشبه بمحاولة إيقاف الريح. على الأغلب، تباطأ انتشارها بسبب الإغلاق شبه الصارم الذي تمكنت الحكومة الصينية من فرضه على مئات الملايين من مواطنيها، إضافة إلى الجهود التي بذلتها دول أخرى لتحديد المصابين، وأي شخص قد تم الاتصال به. الطريقة الوحيدة التي كان يمكن الحد من انتشار الفيروس هو وجود لقاح فعال، وهو ما لم يكن موجوداً. والبدء من نقطة الصفر في مثل هذا المشروع يتطلب عدة شهور أو حتى سنوات».

في الأسفل:  
مايكل أوسترهولم  
مارك أولشاك





والمعدات الحيوية. نحن بحاجة إلى التفكير في ذلك من حيث نموذج التأمين. شركات التأمين لا تمنع الكوارث؛ بل تخفف من تأثيرها».

في الوقت الذي تصبح فيه عمليات الإغلاق والإلغاء والحجر الصحي روتينية - يضيف الكاتبان - يجب أن تكون لدينا الوسائل للحفاظ على عمل سلاسل التصنيع والتوزيع للأدوية والمنتجات الحيوية الأخرى مثل الإبر والعناصر الأساسية مثل أكياس المحلول الملحي. لا نحتاج فقط إلى تطوير المزيد من القدرة التصنيعية والوفرة من المرافق في جميع أنحاء العالم، ولكن يتعين علينا الاستثمار بقوة على المستوى الحكومي في الأدوية والمضادات الحيوية الجديدة التي لا يوجد لها نموذج أعمال تجاري فعال. لا يمكننا أن نتوقع من شركات الأدوية التجارية استثمار مليارات الدولارات في الأدوية التي سيتم استخدامها فقط في حالات الطوارئ.

الولايات المتحدة مخزونها المماثل مع كميات واقعية من الإمدادات المطلوبة - وليس الأرقام الحالية غير الكافية لدينا لمكافحة جائحة كوفيد-19. نحتاج إلى خطة قوية لاستيعاب الازدحام في المستشفيات والعيادات، مثل إقامة الخيام في مواقف السيارات بحيث يمكن فصل المرضى المشتبه في إصابتهم بالعدوى، وإذا لزم الأمر، عزلهم عن المرضى الطبيعيين».

مع كل ما يحدث من مرض وموت وتشويش عام

وخسارة اقتصادية ناجمة عن جائحة

كورونا، ستكون أكبر مأساة إذا

«أهدرنا» هذه الأزمة من دون التعلم

منها والاستعداد للمستقبل. إذا كان

التاريخ يقدم لنا الدلائل، فمن شبه

المؤكد أننا سوف نصادف سلالات

أخرى من الميكروبات والفيروسات

التي تهددنا بعد ذلك بمرض معد

واسع الانتشار، ولكن سيكون ذلك

عاراً وخطراً علينا إذا لم نكن على

أتم الاستعداد لمواجهةها بكل الخطط

والموارد التي نعلم أننا سنحتاج إليها.

يجدر الذكر أن الكتاب يقع في 353

صفحة عن دار جون موراي، في مارس

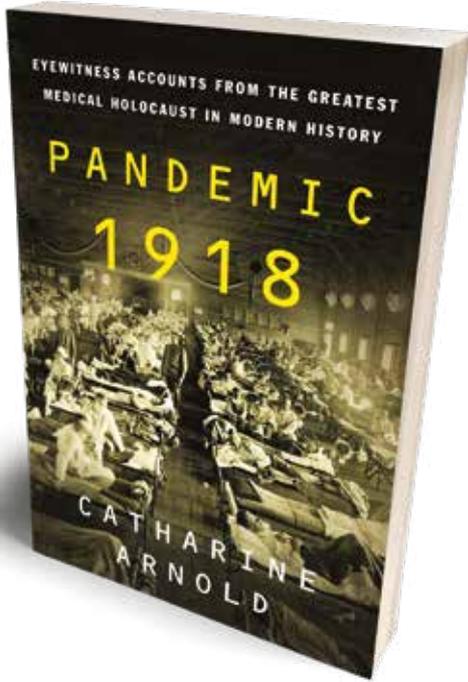
2020.

ويؤكد الكاتبان أنه «لمواجهة أي جائحة محتملة، نحتاج إلى خيال إبداعي حول ما يمكن أن يحدث، وماذا سيحدث، وما الذي سنحتاجه ليكون جاهزاً عندما يحدث. وهذا يشمل التخطيط لاستمرارية العمليات في مجال الرعاية الصحية والحكومة والأعمال. نحن بحاجة إلى مخزون استراتيجي دولي من أشياء مثل الأدوية المنقذة للحياة والمراح الطبية للمرضى، ومعدات الحماية الشخصية للعاملين في مجال الرعاية الصحية. يجب أن يكون لدى

#### نبذة عن المؤلفين:

- الدكتور مايكل أوسترهولم هو بروفيسور ريجنت، كرسي ماكناب الرئاسي الموهوب في الصحة العامة، والمدير المؤسس لمركز أبحاث وسياسات الأمراض المعدية في جامعة مينيسوتا. وهو عالم وبائيات مشهور دولياً، وقاد العديد من تحقيقات تفشي الأوبئة ذات الأهمية الدولية، ويقدم المشورة لقادة العالم عن قائمة التهديدات الميكروبية المتزايدة باستمرار.
- مارك أولشاك هو مخرج أفلام وثائقية حائز على جائزة إيمي، والمؤلف الأكثر مبيعاً على قوائم كتب نيويورك تايمز، له خمس روايات وعشرة كتب في سياقات أخرى. وتقدم كتبه منظوراً فريداً ومثيراً للاهتمام في العلوم السلوكية والتحليل الاستقصائي الجنائي.

## وباء 1918: قصة الإنفلونزا الأكثر فتكاً في التاريخ



تكريماً لذكرى جدها وجدتها أوبري غلادوين ولالج باجلي غلادوين، والملايين من أمثالهم الذين لقوا حتفهم في جائحة الإنفلونزا الإسبانية في 1918-1919، ألّفت الصحافية البريطانية هذا الكتاب، وهي معروفة بتأليفها سلسلة «لندن» التي تضم خمسة كتب تاريخية مشهورة منها «جسيم لندن: الجريمة والعقاب في العاصمة» (2012). لم ينجُ مكان على الكرة الأرضية من هذا العدو، ففي بريطانيا وحدها توفي 250,000 شخص، وفي الولايات المتحدة مات 750,000 شخص، أي خمسة أضعاف إجمالي القتلى العسكريين في الحرب، بينما وصل عدد القتلى الأوروبيين إلى أكثر من مليوني شخص. ومع ذلك، تم حينها قمع أخبار الخطر، خوفاً من التأثير على معنويات الجنود في الحرب. حتى اليوم هذه الأرقام مروعة، وما زالت الحروب تخفي هذا الخطر المرعب في ظلها. تشير المؤلفة إلى أن الجنود الألمان أطلقوا على هذه الإنفلونزا اسم «بليتزكاراتا»، وأطلق عليها الجنود البريطانيون «فلاندرز جريب»، لكن أطلق عليها عالمياً اسم «الإنفلونزا الإسبانية». نجد في هذا الكتاب أن خلف الأرقام هناك حياة بشرية، وقصص عن الذين عانوا وقاتلوا في المستشفيات والمختبرات. تتبع كاثرين أرنولد مسار المرض وبداياته وتقدمه في جميع أنحاء العالم، عبر هؤلاء الأشخاص المميزين. البعض معروف مثل رئيس الوزراء البريطاني ديفيد لويد جور (1863-

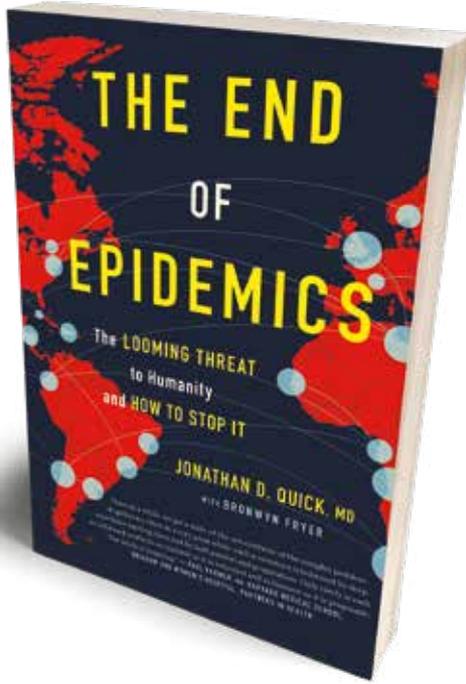
في الأسفل:  
كاثرين أرنولد

عن القصة البشرية لعام 1918. وتقول: «على الرغم من المخاوف الصحية المنتظمة بشأن إنفلونزا الطيور، وسارس، وفيروس نقص المناعة البشرية، وإيبولا، فمن الصعب تصور سيناريو يمكن أن يتسبب فيه شيء شائع مثل الإنفلونزا في انتشار المرض والوفاة. على الرغم من أن معظمنا سيصاب بالإنفلونزا عدة مرات خلال حياتنا، كان التطعيم ضد الإنفلونزا فعالاً بنسبة 50 في المائة فقط، وستظل الأغلبية على قيد الحياة مع الحد الأدنى من العناية الطبية. فما الذي كان مختلفاً في ذلك الحين عن الإنفلونزا الإسبانية؟ ولماذا كان لها مثل هذا الأثر المدمر؟». وتضيف على كلامها: «لاكتساب بعض الفهم لهذه العوامل نحتاج إلى تحديد طبيعة الإنفلونزا والنظر في تاريخ موجز للمرض. بشكل عام، الإنفلونزا هي مرض معقد يسببه فيروس محمول جواً، وينتشر بين الأفراد في ذرات مجهرية، عن طريق السعال أو العطس. يساعد التقارب الكبير بين الأشخاص على انتشار العدوى، لا سيما في المجتمعات المكتظة مثل المدارس والمنشآت العسكرية والمستشفيات. في كثير من الحالات، يكون أطفال المدارس هم أول من يصاب بالفيروس، ثم ينقلونه إلى أسرهم».

1945)، والرئيس الأمريكي الثامن والعشرون وودرو ويلسون (1856 - 1924)، لكن الكثيرين منهم غير معروف مثل جنود المشاة من الولايات المتحدة، وعمال مناجم الذهب في جنوب إفريقيا، وتلميذات في مدارس بريطانيا العظمى وآخرين غيرهم. يأتي نشر هذا الكتاب بعد 100 عام على مرور أكثر جائحة مدمرة في تاريخ العالم، وتستخدم المؤلفة السجلات والمذكرات واليوميات والمنشورات الحكومية غير المنشورة سابقاً للكشف



# نهاية الأوبئة: التهديد الوشيك للإنسانية وكيفية إيقافه



الأصغر تنبثق في جميع أنحاء العالم كل عام. يقول البعض إن الوباء التالي قد فات. لحسن الحظ، تم إيقاف معظم الأوبئة في مساراتها من قبل فرق الاستجابة السريعة للصحة العامة. على الرغم من التقدم الهائل في العلوم والصحة العامة، ونجاحنا في مكافحة العديد من الأوبئة، لم نتكمن من منع تفشي الأمراض الصغيرة من الاندلاع وتحولها إلى شيء أكثر تدميراً حسب كويك. السؤال الواضح هو: لماذا لا نتحرك بكل ما نملك للتأكد من أن تفشي المرض

في الأسفل:  
جوناثان كويك  
برونوين فراير



في مكان ما في الطبيعة، ربما في دم طائر أو خفاش أو قرد أو خنزير، تعيش فيروسات مستعدة في أي وقت للقفز إلى جسد الإنسان ونهشه. هذه الجراثيم التي لم يتم الكشف عنها بعد، تمتلك القدرة على القضاء على ملايين الأرواح في غضون أسابيع أو شهور. يمكن القول أن التهديد الذي تشكله تنظيمات إرهابية مثل «داعش» أو حرب برية، أو حدث مناخي هائل، أو حتى إلقاء قنبلة نووية على مدينة كبيرة أمر ضعيف مقارنة بما يمكن أن يخلفه خطر هيمنة فيروس على العالم. وهذا ما نجده اليوم مع تفشي فيروس كورونا في 2020 الذي أربع البشرية، وكشف عن عدم استعدادنا لفاشية الأمراض المعدية في المستقبل.

في كتاب «نهاية الأوبئة»، يبحث عضو هيئة التدريس في معهد ديوك للصحة العالمية والرئيس السابق لمجلس الصحة العالمي الدكتور جوناثان كويك كيفية القضاء على الجدري والآثار المدمرة للإنفلونزا والإيدز والسارس والإيبولا وغيرها من الأمراض الفيروسية. ويقول: «إن الآثار الصحية والمالية الهائلة للأوبئة تزداد سوءاً من خلال الهشاشة البشرية مثل الخوف والإنكار والذعر والرضا عن الذات والغطرسة والمصلحة الذاتية». ويضيف: «ولكن يمكننا إنهاء الأوبئة من خلال مواجهتها وتطبيق سبعة إجراءات ملموسة أثبتت فاعليتها على مدى قرن في مكافحة الأوبئة». ويقترح الدكتور كويك هذه الإجراءات التي صاغها تحت عنوان «قوة السبعة» تتضمن: (1) ضمان قيادة جريئة على جميع المستويات؛ (2) بناء أنظمة صحية مرنة؛ (3) تحصين ثلاثة خطوط خلال الحرب ضد المرض (الوقاية والكشف والاستجابة)؛ (4) ضمان التواصل في الوقت المناسب والدقيق؛ (5) الاستثمار في الابتكار الذكي؛ (6) الإنفاق بحكمة لمنع الأمراض قبل تفشي الوباء؛ (7) تعبئة نشاط المواطنين».

ويقول في مقدمته للكتاب: «لا يعرف العلماء أي ميكروب سيكون، ومن أين سيأتي، أو ما إذا كان سيتم نقله عبر الهواء، أو باللمس، أو عبر سوائل الجسم، أو من خلال طرق متعددة، لكنهم يعرفون أن الأوبئة تنصرف مثل الزلازل قليلاً. يعرف العلماء أن «الزلازل الكبيرة» قادم، لأن عشرات الزلازل الجديدة